فى العلوم المقننة المضبوطة يصعب رد المخطىء فما بالك برد المخطىء عما لا يضبطه سوى الأريحية الفنية .

وإذا كانت العلوم التى لها أصول معروفة وقوانين مضبوطة، قد اشترك الناس فى العلم بها، واتفقوا على أن البناء عليها، إذا أخطأ فيه المخطىء ثم أعجب برأيه لم يستطع رده عن هواه، وصرفه عن الرأى الذى رآه إلا بعد الجهد وإلا بعد أن يكون حصيفاً عاقلا ثبتاً إذا نبه انتبه، وإذا قيل إن عليك بقية من النظر وقف وأصغى وخشى أن يكون قد غر فاحتاط باستماع ما يقال له، وأنف من أن يلج من غير بينه، ويستطيل بغير حجة وكان من هذا وصفه بغر ويقل، فكيف بأن ترد الناس عن رأيهم فى هذا الشأن وأصلك الذى تردهم إليه، ويقول في مجاجتهم عليه استشهاد القرائح وسبر النفوس وقليها وما يعرض فيها من الأريحية عندما تسمع ...

... ولم يكن الأمر على هذه الجملة إلا لأنه ليس فى أصناف العلوم الخفية والأمور الغامضة الدقيقة أعجب طريقاً فى الخفاء من هذا وأنك لتتبع فى الشيء نفسك وتكد فيه فكرك وتجهد فيه كل جهدك، حتى إذا قلت قد قتلته علماً وأحكمته فهماً، كنت الذى لا يزال يتراءى لك فيه شبهه ويعرض فيه شك كما قال أبو نواس :

ألا لا أرى مثل امترائى فى رسم تفضى به عينى ويلفظـــه وهمى
أتت صـــور الأشياء بينى وبينه فظنى كلا ظن وعلمى كلا علم

وإنك لتنظر فى البيت دهراً طويلا وتفسره ولا ترى أن فيه شيئاً لم تعلمه ثم يبدو لك فيه أمر خفى لم تكن قد علمته.